اللغة الوحيدة التي لا تورّث معنى ثانيا هي الرياضيات

رولان بارت: طالما يوجد موت ستكون هناك أسطورة

لعب الفيلسوف والناقد واللغوي والسيميولوجي والبنيوي وما بعد البنيوي الفرنســـى رولان بارت دورا بأرزا في تطور العديد من ألمدارس كالبنيوية والماركسيةً وما بعد البنيوية والوجودية، بالإضافة إلىٰ تأثيره في تطور علم الإشارات. ومن خلال حواراته نكتشف وجوها متعددة لناقد صار علامة كُبرى في تاريخ النقد الإنساني، وعبر آرائه نطالع عوالم جديدة تدعو إلى البحث والتعمق أكثر.



محمد الحمامصي

ح يمثل كتاب "المُراوغُ الضَجِرُ" مختارات من الحوارات التي اختارها وترجمها لطفى السيد منصور والتي أجريت مع رولان بارت في مراحل فكريةً مختلفة؛ وتقدِّم هذه المُختارات رؤية نقدية تبلور لنا مشروعه، وتكثبف تطور أفكاره ورؤاه في مختلف الحقول التي اشتغل عليها في هذا المشروع وقدرته على الدفاع عنها.

ولأن هــذه الحــوارات، الصادرة عن دار شهریار، تحمل ما یعرف عن صعویة لغـة بارت وثقافتـه، إلا أن جهد المترجم خفف إلى حد كبير من ذلك، وهنا سيوف نستعرض بعضا من جوانبها كونها لىست محرد لقاءات خفيفة، بل هي بمثابة مقالات شسارحة بدقة وصرامة لمآ قدَّمه بارت من كتابات أو مفاهيم.

لغة الملابس والشفرات

في حوار بارت مع "الفيغارو ليتيريسَر" في أكتوبر 1965 سُسئل: متى وكيف ولماذا فكرت في كتابك "نظام الموضية"؟ فقال بارت "لقّد أخذ مشروع نظام الأزياء مكانه بالضبط في حياتي مع تحرير خاتمة 'ميثيولوجيات'، حيث اكتشفت أو اعتقدت أنني اكتشفت إمكانية لتحليل محايث لأنظمة علامات أخرى غير اللغة. منذ تلك اللحظة كانت لدي رغبة في إعادة بناء أحد هذه الأنظمة خطوة بخطوة، لغة يتحدث بها الجميع وغير معروفة للجميع. وهكذا

الشذرة تكسر ما سأدعوه المغطى، والأطروحة، والخطاب الذي نبنيه من خلال فكرة إعطاء معنى نھائی لما یقال

وأضــاف أن "كتّابــا مثــل بلــزاا وبروست أو ميشيليه، كانوا قد عرضوا بالفعل وجود نوع من لغة الملابس. لكن كان ينبغى القيام بمحاولة تقديم محتوى فني، وليس مجازيا، ما يسمى بكل سهولة 'اللغات الاصطلاحية' (لغة السينما، التصوير الفوتوغرافي، اللوحــة، وما إلىٰ ذلـك) من وجهة النظّر هذه تعد الملابس إحدى مواد التواصل مثل الطعام والايماءات، السلوكيات والمحادثة التى لطالما كان لدي فرحة عميقة للاستفسار عنها لأنها (اللواد)، من ناحيــة لديها وجــود يومى، وتمثل

نفسها لتحليل منهجي بوسائل شكلية". وتابع بارت في إجابته عن سؤال آخر

أن يرى كيف شييد المعنى، كيف يشيده البشير، وفي هذه الحالية معني ملابس الموضة: إنه بذلك يشكل اكتشافا للأماكن، خط سير موضع المعني، ومع ذلك فإن خط السبير هذا لا يقدم نفسته على أنه رحلة شـخصية، ولكـن كقواعد نحوية، وصف لمستويات الدلالة، والوحدات ولقواعدها التوليفية، باختصار ما يشبه تركيب الجملة الوصفى، سيتم تبرير الكتاب إذا نجح، كونه في حد ذاته مادة مركبة، في أن يظهر تحت أعين القارئ بطريقة ما متحانسة، مادة جديدة هي ثوب الموضة المكتوب".

. نصوص أخرى".

أول مجال هو "شفرة الأحداث القصة كتاريخ، سلسلة من الأحداث".

وثالثا "الشفرات الثقافية، الممتدة



بالنسبة إلى فرصة للتعرف على نفسي . على المستوى الأكثر مباشرة لأنني أنشىغل بذلك في حياتي الخاصة، ولأنها من ناحية أخرى لها وجود فكري وتمنح

"كتابي عبارة عن خطسير، رحلة صيور، دقيقة تقريبا، ينجزها رجل ساذج يحاول

وفــى حواره عام 1970 حــول كتابيه 'س/ ز" و"إمبراطوريـة العلامـات" سُئل: هل يمكن أن تحدد بدقة ما تنطوى عليه هذه التأكيدات بالنسبة إلى حالة التأويل والتحليل ذاتها، الشفرات الخمســة التي بــدت لك أنهــا تحكم في قصة بلزاك القصيرة "سارازين" إنتاج المعنى ود بارت "في الحقيقة لقد ميزت بالفعل خمسة مجالات أو شفرات دلالية كبيرة، أعترف أنني لا أعرف ما إذا كان لهذا التقسيم أي رسوخ نظري، وهذا . بتطلب القيام بتجارب مماصلة على

السردية (أو الشفرة المنظمة للأحداث والتصرفات، وهو مصطلح مستعار من البلاغة الأرسطية)، مما يجعلنا نقرأ بدقة

والمجال الثاني هو "الشيفرة الدلالية بالمعنى الدقيق، التي تجمع بين مدلولات مزاجية ونفسية وبيَّئية بدَّرجة متفاوتة. إنه عالم الدلالات الإيحائية بالمعنى الجاري للمصطلح؛ عندما مثلا يهدف بورتريه شخصية بوضوح إلى توصيل رسالة 'إنه عصبي'، ولكن من دون أن تذكر أبدا كلمة 'العصبية'، تصبح ية مدلول البورتريه".

علىٰ نطاق واسع جدا، أي جميع المراجع، والمعرفة العامـة للعصر التي يستند عليها، وكذلك المعرفة النفسيةً، الاجتماعية والطبية، إلخ. هذه الشفرات غالبا ما تكون قوية جدا خاصة عند

ونجد رابعا "الشـفرة التأويلية التي تغطى إنشاء اللغز، واكتشاف الحقيقة التيّ يطرحها اللغن، إنها بشكل عام

أعمال بريخت أيديولوجية وفيها تقدير للذة

وخامسا "المجال الرمــزي ويختلف منطقه جذريا، كما نعلم، عن منطق الاستدلال أو التجرية. يعرف، مثل منطق الحلم، من خلال الطباع السرمدية والاستبدال وقابلية الانعكاس".

الأسطورة والعلامات

في حواره مع "الإكسبريس" سُـئل بارت عن إمكانية الاستغناء عن المثيولوجيات؟ وكان رده "لا بالطبع، ليست أكثر من وظائف رمزية، اللغة الوحيدة التي لا تـورث معنىٰ ثانيا هي الرياضيات لأنها ذات طابع صورى مالكامل، فالمعادلة الجبرية لا تحتوي على أي معنى مشارك. ما لم نقم بتصويرها وإدراجها في مقال عن أينشيتاين، بعد كتابتها علىٰ السبورة. في تلك اللحظة، نطور معنى ثانيا، نشسير إليه، والمعادلة تعنى: أنا علمى، أنا عالم رياضيات".

وردا على سؤال: هل من الممكن تخيل لغة نقية، غير موحية، خارج الرياضيات؟ قال "لا، أعتقد أنها يوتوبيا. وفقا لمفهوم ماركسىي معين، فإن الأساطير ستكون منتجات خيالية وساذجة مرتبطة بمرحلة إنسانية لم تعرف، ولم تتمكن بعد من حل تناقضات الواقع. لذلك قد تحل من خلال إنشاء قصص يمكن التغلب فيها على هذه التناقضات بشكل خيالي. وبالمنطق الماركسي هو أنه عندما ننجح في حل هذه التناقضات عن طريق الاشتراكية، سوف تختفي الأساطير في تلك اللحظة. المشكلة هائلة، ولا أرغت في التعامل معها بشكل عرضي. قد تتذّيل الماركسية على نحو جيد للغاية أن المجتمع الاشتراكي سيعيد رسم خارطة اللغة من خلال التدخل بطريقة غير مسبوقة، ولا يمكن تصورها. لكننى أعتقد أنه حتى ذلك الحين سيظل هناك تناقض أخير، بالمعنى الواسع للمصطلح، لا يمكن التغلب عليه؛ إنه الموت، وطالما يوجد موت، سيكون هناك

وقال بارت في رده علىٰ سؤال: تهدف كل محاولاتك على مستوياتها المختلفة الاحتماعية والنقد الأدبي إلى إزالة الغموض؟ إنه "ليس حقا من أجل إزالة الغمـوض، لأنه بأي حق أتحدث باسـم الحقيقة؟ ولكن من أجل تقويض طبيعة العلامة بلا كلل. بالتأكيد كما تعلم، إنها معركة قديمة جدا، تبدو بعض أشكالها الآن قديمة بعض الشيء، ولكن في القرن الثامن عشر الذي كان تصوره هو النظر إلىٰ معتقدات فرنسا في ذلك الوقت من خُـلال مقارنتها بمعتقدات الصينيين والفرس وشعوب الهورون، وقاد ذلك ئل فولتير. إن ا بالنسبة إلينا نحن الغربيين عندما لا ندرك العلامات على حقيقتها، أي أنها علامات تعسفية، إنها الامتثالية، والباب المفتوح لقيود الادعاء الأخلاقي والقوانين الأخلاقية وقيود الأغلبية".

وحول كون علم اللسانيات أساسيا بالنسبة إليه أوضح بارت "أصبح من الشائع تقريبا أن نقول ذلك، ولكن على المستوى الإجرائي، أمدتنا اللسانيات بمفاهيم محددة للغاية لا يمكن إنكار قيمتها، علىٰ الأقـل في المرحلة التارخية الحالية من البحث في العلوم الإنسانية، بالنسبة إلى، أمدتنى بوسائل فعالة لفك تشفير نص أدبى ما أو أي نظام للعلامات. من ناحية أخرى، أتاحت امتداداتها على مدار الأعوام الخمسة عشس الماضية من اكتشساف ما يسمى بالبنى غير المركزية".

المتعة واللذة

وتابع "دعني أعد إلى صورة القاموس، تعلمنا اللسانيات الحالية أن هناك مجموعات من الأصوات والمعاني التي نُظِّمت في ما بينها، وبالتالي تمتلك خصائص بنيوية، ولكن لا يمكننا تحديد مركز محوري تشيد حوله البنية. يقول أعداء البنيوية بنبرة ساخرة إن فكرة البنية كانت موجودة دائما وهم يتساءلون لماذا نثير كل هذه الجلبة من حولها. وبطبيعة الحال، فإن البنيوية بمعنى ما قديمة جدا، فالعالم بناء والأشياء والحضارات أبنية، وقد عرفنا ذلك منذ زمن بعيد، ومع ذلك فالجديد تماما هو إدراك هذه اللامركزية، وكان

من الصعب جدا الاعتراف بذلك انطلاقا من ثقافة كلاسعكية مثل ثقافتنا، لأن لغتنا، مثل قائمة طعامنا، جامدة للغاية ومركزية للغاية، حيث إنها كانت قد قننت في القرن السابع عشر من قبل مجموعة أجتماعية صغيرة".

يرى بارت ردا على سؤال حول تركبية اللغة وعلاقتها بفكر اللعب أن "اللغة تركيبية نعم، ولكن بشيرط رفع التابو عـن الكلمـة إذا تم اسـتخدامها، لأنه لا يوجد فيها شيء ما انتقاصي إلىٰ حد ما مقارنة بمثال إنساني معين. ومن ناحية أخرى، أؤيد فكرة اللعب تماما، أحب هذه الكلمة لسببين، لأنها تستحضر نشاطا لعبيا حقا، ولأن اللعبة أيضا لعبة جهاز، ألـة، تلك الحرية الصغيرة جدا المكنة في ترتيب عناصرها المختلفة. اللغة هي متعة التصنيع والاشتغال، إنها تشير إلىٰ التحليل النفسي للذة، وفي الوقت إلىٰ ديناميكية في أن م من حيث الأشتغال، وترتيب القطع في ما بينها، يمكننا أن نقول إنها صوت مجسم، أعنى بذلك أنها فضاء، إنها تضع الأفكار والمساعر في

مكانها حسب المسافات والأحجام المختلفة. من الواضح، إذا قلت 'ادخل وأغلق الباب أنها ليست جملة تحتوي

وفى مقابلته مع "براتيك" جاءت بعنوان "عشرون كلمة متاحبة

لدى رولان بارت" أوضح الكثير من رؤاه

ومفاهيمــه وتحدث عن بعـض المؤلفين

الذين يكن لهم أهمية، وقال بارت عن كلمة "اللذة" وظهورها لديه "لقد ظهرت

بطريقة سـوف أسميها تكتيكية، فاليوم

شعرت أن اللغة الفكرية خضعت بسهولة

شديدة لضرورات مدعى الأخلاق الذين

يفرغون أي مفهوم من التمتع، وكرد

فعل، أردت إذا إعادة إدخال هذه الكلمة،

في مجالي الشخصي، ليس بفرض

الرقابة عليها ولكن لإطلاق مكلوتاتها

نظام الأفكار التي تجد في طريقها

تفسيرات، وتحيط نفسها بأسباب،

السبب الأول هـو أننـي أعلـق علـي

المستوى الذاتى بعض الأهمية على

وتابع "إنها حركة تكتيكية داخل

علىٰ الكثير من التحسيم الصوتى، ولكن تناقضات الواقع النص الأدبي بالفعل هو صوت مجسم".

الأساطير ستكون منتحات خيالية وساذجة مرتبطة بمرحلة إنسانية لم تعرف ولم تتمكن بعد من حل

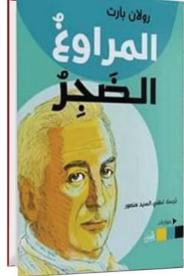
ما يمكن تجميعه تحت اسم مذهب الهيدونية الذي عفا عليه الزمن تقريبا، وخصوصا في موضوع فن العيش. هذه أشياء كنت قد نوهت عنها من قبل بشكل غير مباشس، مثلا عندما تحدثت عن علاقة بين المسرحي الألماني برتولد بريخت وسيجاره، علاوة على ذلك، في كل أعمال بريخت التي لا يمكن إنكار أنها أيديولوجية على نحو أصيل، ثمة تقدير للذة. هناك إذاً في ما يتعلق بي اضطلاع بمسؤولية عن هيدونية معينة، والعودة إلى فلسفة سيئة السمعة، ومقموعة منذ قرون. أولا من قبل الأعراف المسيحية، ثم تجدد هـذا القمع بوسـائط الأعراف الوضعية والعقلانية وكان أو يكون للأسف، في طريقه إلىٰ ذلك مجددا من خلال أخلاق ماركسية معينة".

وأوضح أن المسرر الثانعي لهذا الانبعاث، لهذه العودة إلىٰ كلمة "اللذة" الأنسانية. فعندما نحاول التمييز بين "اللذة" و"المتعة" وعندما نطرح مشكلة المتعة، حينئذ نجد موضوعة حديثة

للغابة، بعرفها التحليل النفسي جيدا، وتهم من نسميهم

الطليعة. وأشبار بارت إلى الفرق بين اللذة والمتعة "اللذة ترتبط باتساق الأنا، الذات، الذي تضمنه قيم الراحة، البهجة، واليسر وبالنسبة

إليّ، إنها ترتبط،



كتاب 'ر.ب بقلمه'، عند إعادة قراءة كتبي ومقالاتي، وهو ما لم يحدث لي من قبل، وجدت أنى كنت أكتب دائما وفق صيغة الكتابة القصيرة، التي تنطلق عبر أو مقالات. ثمة فترة كاملة من حياتي لم أكتب فيها سـوى مقالات، وليس كتبا. هــذا هــو المبل للشــكل القصيــر ما يتم منهجته الآن. هو ما ينطوي على وجهة مضادة للشكل، ذلك لأن الشذرة تكسر ما سأدعوه المغطى، والأطروحة، والخطاب الذي نبنيه من خـلال فكرة إعطاء معنى نهائي لما يقال، وهنده هي القاعدة الأساسية للبلاغة في القرون السابقة. مقارنة بغطاء الخطاب المشيد، فإن الشدرة هي تخريب، انقطاع، تقيم نوعًا من رذاذ الجمل، الصور، الأفكار، دون أن يأخذ أي منها شكلا نهائيا". وأشسار بارت إلى أن الهايكو شسىء آخر "إنها المستقبل الأساسى لموسيقى الشندرة، التقيت بها في طبيعتها التاريخية الواقعية خلال رحلاتي إلى

النص الأدبي صوت مجسم

مثلا، بكل ميدان قراءة الكلاسيكيات،

في المقابل فإن المتعة هي نظام القراءة

أو التلفظ، الذي تضيع من خلاله الذات،

بدلا من أن تتكوّن وتختبر تجربة الانفاق

لفت بارت إلى أن ميله إلى الشدرة

"ميل قديم جـدا بداخلي، أعيد تفعيله في

التي هي المتعة بالمعنى الدقيق".

الشذرة والهايكو

اليابان. إنه شكل أكنّ له إعجابا عميقا، أي رغبة عميقة. إذا كنت أتخيل نفسي أكتب الآن أشياء أخرى، فإن البعض منها سيكون على نظام الهايكو. والهايكو شكل قصير جدا، ولكنه، على عكس الحكمة، وهي شكل قصير حدا أيضا، يتميز بصممه. لا يولد معنى، ولكنه في نفس الوقت ليس بــلا معنى، إنها دائماً نفس المشكلة؛ لا تفسيح المجال للمعنى، ولكن لا تغادره تحت تهديد الانضمام إلىٰ أسوأ المعانى، معنىٰ اللامعنيٰ".

وتابع "في كتابي 'ر.ب. بقلمه' هناك بعض أنواع الهايكو التي لم تقدم على الاطلاق في شكل شعري، والتي دعوتها 'ســجل زمنى للأحداث'؛ ذكريات طفولتي وشببابي، وهي تقدم في جملة أو اثنتين أو ثلاثة على الأكثر التي لها هذه الخاصية على الأقل، أمل أن يكون ذلك - مع أنه من الصعب جدا أن تتحقق - أن تكون كامدة تماما. الهايكو، إنها إلىٰ حد ما ضد الانشياء، ولذلك إنه من المشروع أن يتم الجمع بين التصورين".